بطولات الجندى المصرى

فى

قص التجربة الحربية

بقلم: السيد نجم

obeikandi.com

obeikandl.com

تعامل الإنسان مع فكرة الصراع و الحرب وصنع تاريخه، فكانت له طقوسه قبل و أثناء وبعد تلك الحروب. كما تلاحظ على مر التاريخ أن رصد الإنسان المصرى تلك التجربة الحربية، وهو ما كشف عن تاريخ من البطولات والتضحيات وإعلاء لقيم الإنتماء والتضحية والحرية، التى يتحلى بها الجندى المصرى.

يعد التراث الشعبى لأمم الحضارات القديمة، ومنها مصر، مرآة صادقة وجلية لجملة الأفكار والمشاعر تجاه تلك التجربة. فبينما تجنح المثولوجيا الهندية (البراهما) إلى مزاج حربى حاد، يمجد الحرب و يزكى الصراع من أجل إنتصار الإنسان.. كانت الميثولوجيا الصينية تجنح إلى إزكاء السلم، ربما بتأثير التعاليم البوذية المضادة لمفهوم الحرب، كان «كونفوشيوس» يقول: «الجنرال العظيم حقا هو الذى يكره الغزو و ليس حقودا إنفعاليا».

فيما تغلب دعوة رد العدوان ثم المسالمة والتسامح بعيدا عن العدائية بمجمل معطيات المثولوجيا المصرية، لعلها ترجع إلى تعاليم الإسلام التى ترفض الإعتداء وتدعو لرد العدوان، وان جنحوا للسلم فاجنح لها، واللافت أن تلك الرؤية المصرية بدت كذلك خلال عهود المصرى القديم، القائم على ضفتى نهر ثرى يكفيه المأكل والمشرب، فلا يعتدى وإن بقى وجهة لعدوان الآخر.

لقد شغلت ظاهرة الحرب التاريخ الفكرى، وهو ما نتوقف معه عند بعض من المفكرين المعاصرين لتعريفها:

قال «رايت»: «هي الأساس القانوني الذي يتيح لجماعتين أو عدة جماعات متعادية أن تحل النزاع في ما بينها بقواتها المسلحة»..

وقال «مارتن»: «الحرب عبارة عن صراع بين الناس»..

وقال «كلوزفتر»: «الحرب عمل من أعمال العنف، يهدف إلى إرغام

الخصم على تنفيذ إرادتنا».. وقال «بنكر تشك» و«شارل ديبوس» و «براديه»: «الحرب هي صراع بين دول مستقلة ولها صفة دولية»..

أما «فون» قال: «الحرب هي المعركة التي تشنها جماعة معينة من الرجال أو القبائل أو الأمم أو الشعوب أو الدول ضد جماعة مماثلة أو شبيهه لها»..

فيما قال «لاجورجيت»: «الحرب هي حالة من الصراع العنيف الذي يقوم بين جماعتين أو عدة جماعات من أفراد منتمية إلى النوع نفسه بناء على رغبتهم أو إرادتهم».

لا تنتهي التعريفات، ولا نعرف ما الحرب في النهاية.

تتسم التجربة الحربية بالعمومية، كما تعد من أشد التجارب خصوصية، حيث أنها منبه معقد، تتماس فيها قيم الحياة والنزوع إلى البقاء، فى مقابل كل العنف المتوقع، فى مقابل الهلاك والموت.. وبينما الموت فى دلالته العامة يعنى ما يعنيه، فهو عند الجندي المقاتل يعنى الحافز إلى المزيد من الحرص على الحياة.. يقاتل وهو على يقين أنه يسعى للإنفلات من الموت. و كم كان الجندى المصرى مخلصا لقناعاته فى مواجهة العدوان، فكانت بطولاته التى رصدتها القرائح والأقلام الإبداعية على مدى التاريخ المصرى.

★★★

تلك وقفة عجلة مع الجندى المصرى قديما وحديثا، لعلنا نتعرف عما جبل عليه الإنسان المصرى فى النهاية بحب للقيم العليا والفداء، مثلما جبل على حب الحياة.

قص بطولات المصرى القديم:

تعد معطيات الحضارة المصرية القديمة، من شواهد معمارية وثقافية وعلوم.. منجزا بشريا لمعطيات إنسانية أسبق منها، وتمهيدا لأخرى تالية عليها. وكانت أولى المحاولات التى تعرفنا بملامح الإبداع المصري، ما

تضمنه كتاب «القصص الشعبية فى مصر القديمة» وقد علق الكاتب الفرنسي «جوستاف لوفيفر» عليها مؤكدا: «أن القصص فى الأدب الإغريقي لم تكن إلا نوعا من سمر الأطفال، بينما كانت فى مصر القديمة أعمالا أدبية».

قام البعض بمهمة تصنيف القصص منها، وإنتهى إلى وجود النمط الفلسفي، كما قصة «الصدق والكذب» حيث تتقابل شخصيتان رمزيتان أحدهما «الصدق» والآخر «الكذب» ويتصارعان لينتصر «الصدق». كذلك النمط القصصي الأسطوري مثل «اله البحر آستارتيه»، كما يوجد النمط الحكائى السردي الذي يغلب عليه الخيال والسرد أكثر فنية. بالإضافة إلى تلك الأنماط التى تهتم بالمعجزات والعجائب والسحر.

الجدير بالإشارة أن الأدب المصري القديم تضمن وقفات حكائية سردية، للحث على «المقاومة من أجل الحرية». ونقول بما قال به الكاتب الفرنسى الذي درس الآداب القديمة والمصرية منها: «إن الأدب لا يقاس بالنمو والتقدم، لأن الأدب ينساب فى نغمة إيقاعية ولا يسير فى خط متصل، فلكل من الأدباء وقته وظروفه».

محاور تمجيد الأديب المصرى القديم لجنوده:

١: التغنى بالبطل المنتصر..

من السمات البارزة فى أدب المصرى القديم من أجل تعريف الناس والأجيال الجديدة بنجاحات وإنتصارات أبطالها، فى مواجهة الخطر الداهم. تعد قصة «فتح جوبى» أو «الإستيلاء على يافا» من أشهر تلك النماذج القصصية، تلك التى تتميز بالحيوية السردية والجاذبية.

تتغنى بالقائد «دجهونى» أو قائد جيش تحتمس الثالث. عرف عنه الدهاء العسكري، وهو ما جعله يتمكن من فتح المدينة، فمنحه الحاكم: كأسا من الذهب (يوجد الآن بمتحف اللوفر بفرنسا).

كانت حيلة القائد فى إخراج أمير المدينة «جوبى» إلى خارج أسوارها، ثم إرسال الكثير من الجنود إلى داخل المعسكر فى سلال كبيرة.. (وقد تكررت هذه الحيلة فى التاريخ، وأيضا خدعة حصان طروادة الشهير.. وربما بدت رائجة فى حواديت الف ليلة وليلة، وخصوصا حكاية على بابا والأربعين حرامى).

جزء من النص يصف الخدعة: «وأسرع دجهوتى بإحضار المائتى سلة التى سبق له أن صنعها، و وضع بداخلها مائتى جندي زودهم بالحبال والأوتاد... و زود دجهوتى جنوده بتعليماته قائلا لهم: عليكم بتخليص زملائكم من السلال المختومة حال دخولكم المدينة، والقبض على جميع الرجال بها، وتقييدهم فى الحال.....»

٢: الحنين إلى الوطن..

سمة شفيفة فى أدب الحرب المصرى القديم، حيث العواطف ولوعة الفراق مع الجزع من الغربة والإبتعاد عن أرض الوطن، حيث تزكية الإنتماء الذي هو عتبة كل دعامات أدب التعبير عن التجربة الحربية.

قصة «سنوحى»، وقد أجمع علماء المصريات على أن تلك القصة أفضل ما يمثل الأدب المصري القديم، وقد أدخلها العالم المفكر «كيبلينج» ضمن آثار الأدب العالمي. وشخصية «سنوحى» ليست خيالية، وللقصة قسط من الحقيقة فى الشخصيات والأحداث وهو ما دفع البعض لتسجيلها فنيا.

ترصد القصة الحرب مع اللوبيين، حيث كان «سنوحى» تحت قيادة ولى عهد مصر، أما وقد توفى الملك ورحل ولى العهد لتولى شئون البلاد، إرتحل سنوحى الى سوريا حيث أقام وتزوج وجعلته إحدى القبائل شيخها. وبعد سنوات طويلة تصله أوامر ملك مصر بالعودة إلى مصر ومتابعة قيادة الجيش. ويبدو أن هذا ما تمناه سنوحى، فترك سوريا عائدا إلى مصر كي يدفن في ترابها وقد حارب من أجلها.

٣: التغنى بالإنتصارات الكبرى «ملحمة قادش»..

وهى المسماة خطأ بقصيدة «بنتاور»، تعبر عن أهم الإنتصارات فى التاريخ العسكرى المصرى القديم ل«رمسيس الثانى» على «الخيتا» وحلفائها (وهم الحيثيين من سكان آسيا).

لكن الروايات المختلفة التى رويت بها مبعثرة على جدران معظم المعابد (المبعثرة). ولا يوجد لها متن يجمع شتاتها (حتى الآن). إلا أن «سليم حسن» حاول جمعها بجهد فريد. أما التفسير الوحيد لتشتت تواجدها فى الكثير من المعابد، هو الإعتزاز بها.

ترجع أحداث تلك الحروب إلى أن تحتمس الثالث أسس مملكة كبيرة، وضعفت سيطرة مصر عليها مع مقدم «اخناتون» (الذى إهتم بالجانب الدينى) أو بثورته الفكرية.. حتى جاء رمسيس الثانى لإعادة سيطرة مصر عليها.

تقدم بجيشه، فإستولى على فلسطين حتى يأمن جانبهم. لكن جيوش رمسيس كانت متباعدة، وفوجىء بالأعداء يعسكرون فى قادش.. تقدم نحوهم حتى تمكن من إختراق قواتهم، ثم إنتصر عليهم بعد هزيمة مبكرة لجيشه، إستطاع أن يحولها إلى إنتصار، طلب الأعداء من بعده الهدنة. فيما أكد الباحثون على تواصل المعارك بين بعض حكام مصر وأولاد «الخيتا» بعد معارك قادش.

يقول «سليم حسن»، أنه بتأمل الأمثال والقصص والشعر المصري القديم، نرى أن الهدف عند الكاتب لم يكن من أجل جمع المال و الحصول على وظيفة وغير ذلك. كان الهدف الأسمى والشائع فى هذا الأدب أنه يرمى الى معان نبيلة، ومقاصد أنبل، ترفع من شأنه (وشأن قومه). وهذا هو مقصد هذه الدراسة، حيث أدب التجربة الحربية فى السرد المصرى القديم، هو أدب مواجهة الذات لتصفيتها من المثالب، ومواجهة الآخر العدواني بكل السبل، بل وتعبيرا عن الفداء من أجل الوطن.

قص بطولات فترة الحملات الصليبية:

لقرابة قرنين من الزمان كانت تلك المعارك التي إن هدأت هنا إشتعلت هناك. فقد أقيمت الإمارات الأوروبية (أو المستعمرات الإستيطانية)، كما إستولوا على الحصون والقلاع، وتمكنوا من مقاليد الأمور..

بدت تلك الفترة بكل ما فيها من ألم، تعد من أنضج الفترات التي أنتجت فيها القريحة العربية العديد من المعطيات الفكرية والأفكار الإيجابية.. فلم يكن الشعر والنثر هما أهم ما أنتجته تلك الفترة، كان المنجز العقلي مع الفقه وعلوم الشريعة، وفى القضاء.. يبدو أن تلك الأزمة حفزت الهمم، ليس لمواجهة الأعداء فقط، بل لمحاربة كل عوامل القهر والإنهيار.

قرر علماء الإسلام، الإنتباه لكتابات اليهود والمغرضين والرد عليها.. فكتب «ابن قيم الجوزية»: «هداية الحيارى من اليهود والنصارى» و«إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية». كما يذكر أن بعض العلماء ذهب إلى أرض المعركة حبا في الإستشهاد مثل «الإمام يوسف الفندلاوى المالكى»، والشيخ الزاهد «عبدالرحمن الحلحول».

كما كتب «عبدالرحمن بن عبدالله» كتابه «المنهج المسلوك في سياسة الملوك» يحث على الجهاد، وتدبير أمور الجيوش، قال: «إن الله تعالى فرض في الأصل على كل مسلم أن يقاتل عشرة مشركين.. ثم إن الله حرم على كل مسلم أن ينهزم من مثليه إلا لأحد أمرين، إما متحرف لقتال فيأوى للإستراحة أو لمكيدة ويعود لقتالهم، وإما أن يتحيز إلى فئة أخرى ليجتمع بها على قتالهم».

الغريب الطريف أن ينشر ذاك الكتاب الفكه الذي جمع النوادر التى حدثت.. مثل حكاية تلك المرأة التي تخرج سافرة من باب بيتها وتشير إلى أحد جنود الإفرنج، وما أن يسير خلفها إلى داخل بيتها، يخرج عليه الرجال لتمزيقه إربا!

يوميات أسامة بن منقذ :

أما والبحث عن بطولات الجندى المصرى وجيشها، فلا أجدى من الإطلاع عما كتبه وزير صلاح الدين ومرافقه فى كل معاركه، لما تتمتع به من خصائص حكائية وغلبة القص عليها.. تلك المواقف والاخبار والاحداث التى رصدها بصياغة حكائية بسيطة وجاذبة.

«أسامة بن منقذ» (٤٨٨ – ٥٤٨ هجرية)، هو فارس من فرسان المعارك ضد الصليبيين، وقد عاش عهود الحكام الثلاثة (عماد الدين، نور الدين و صلاح الدين) و لكل منهم مواقفة البطولية.

ففى كتابه «الإعتبار»، دون أن يدرى أضاف شكلا غير مسبوق إلى النثر العربى.. فقد عمد فى عرضة على تسجيل اليوم و أحداثه تفصيليا، فأصبح رائدا فى فن كتابة اليوميات، وقد شاع هذا الشكل من بعده.

لقد تعرض «أسامه» فى كتابه «الإعتبار» إلى مرحلة طفولته، و أنه من المقاتلين و محترفى الصيد ولا يترك المصحف من بين يديه حتى أثناء فترات الراحة خلال رحلات الصيد. أما الجانب الحربى و رصده للصراع العسكرى مع الفرنجة، يلاحظ القارىء أنه لم يتحدث عن نفسه. كل ما جمع عن بسالته وبطولاته العسكرية يمكن أن يعرفها القارىء من كتابات الاخرين عنه. ففى كتاب «الروضتين» لكاتبه «أبوشامه» قدم وصفا وسرد أحداثا حول شجاعة «أسامة» أثناء حصار قلعة «حارم».

وضح فى كتابه «الاعتبار» قدر تقدير «أسامة» لصلاح الدين. يتحدث عن أفضاله فيقول:

«نادانى إليه مكاتبة مولانا ناصر الدنيا والدين، سلطان الاسلام والمسلمين، جامع كلمة الايمان، رافع علم العدل والإحسان، محى دولة أمير المؤمنين.. فاستنقذنى من أنياب النوائب برأيه الجميل، وحملنى إلى بابه العالى الغامر الجزيل، وجبر ما هاضه الزمان منى، و نفق على كرمه ما كسد عنه سواه».

لعل مجمل ما يمكن الإشارة إليه.. تخلو اليوميات من النرجسية و تفضيل الذات عكس الكثير من السير.. سمة الصدق و الشجاعة و قول الحق يغلب أى إعتبار غير موضوعى، حتى أنه و على مافى تجربته من قسوة مع الفرنج، إلا أنه لم ير فيهم آبالسة و شياطين كما قال البعض من معاصريه.. بل ناقش أفكارهم و سلوكهم. ولا يبدو منفعلا شديد البأس إلا عندما يسرد المعارك.

رواية «الحروب الصليبية» ..

للكاتب «أمين معلوف»، نشرت عام ١٩٨٣م باللغة الفرنسية، ثم ترجمت إلى العربية بقلم «د.عفيف دمشقية». وهى واحدة من إنتاج الروائي الذي رهن قلمه لكتابة الرواية التاريخية.

لعل الهام هنا هو تركيز الروائي على إبراز العلاقة بين الشرق والغرب في كل أعماله، وما أحوجنا الآن كي ننتبه إلى أنفسنا وإلى الآخر. وقد وعى الكاتب تلك القضية حتى أنه بالمقدمة يقول: «أنا لا أقدم كتابا آخر في التاريخ قدر ما هو رواية حقيقية عن الحروب الصليبية، وعن هذين القرنين المضطربين اللذين صنعا الغرب والعالم العربي، ولا يزالان يحددان، حتى اليوم، علاقاتهما..» . كأننا نقرأ في تلك السطور القليلة أحداث نعيشها الآن!

أما روايته حول الحرب الصليبية، فتشغل نفس زمن فترة تلك الحروب (قرنان)، أي منذ ١٠٨٩م حتى نهاية وجود الصليبيين بالمنطقة في عام ١٢٩١م . ومع ذلك فالقول بالتزامه العلمي بالحقيقة التاريخية لا يلغى الالتزام بأطر عامة لفن الرواية كما في توفير عنصر التشويق والإثارة.

يعرض الروائي وجهة نظره، ثم يسجل مقولات المؤرخين، وقد يعلق من بعد، وهكذا يقطع ويمزج، ويضيف بشكل متتابع وهو قابض على جوهر فنية الرواية وفكرتها، مع ذلك كثيرا من كان يبدأ (الفصل أو الفكرة الجديدة) برصد التاريخ.

كما فعل في «ديسمبر ١٠٨٩» حيث يقول:

«إجتاح الصليبيون بلدة أبى العلاء.....، أما المؤرخ العربي أسامة بن منقذ – الذي ولد في مدينة قريبة قبل ثلاث سنوات من هذه الأحداث – فقد عاش تلك الفترة كاملة وأرخ لها، وحدث في أثنائها لون من الوان التعاون بين إمارة عربية في دمشق، وأخرى صليبية في القدس .....، وهو يتحدث حديثا طويلا عن جهلهم بالطب وهمجيتهم، ويشمئز من كثير من مسالكهم:.....، ثم يوجز خبرته بهم : «إذا خبر الإنسان أمور الإفرنج رأى بهائم فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير، كما في البهائم فضيلة القوة والحمل»!

وهكذا حتى نهاية الرواية، ما بين التنصيص والتعليق وما يمكن أن نطلق عليه «المونتاج» .. بحيث إكتسب العمل نكهة خاصة.. وهو ما جعل الرواية وثيقة تاريخية/ فنية حول الحروب الصليبية، ولم تخل الرواية من بطولات حقيقية للجندى (المصرى والعربى).

★★★

قص بطولات فترة مواجهة الغزو التتارى:

تعد تجربة معركة «عين جالوت» من التجارب الحربية الهامة في التاريخ العربي، ليس فقط لكونها معركة إنتصر فيها الجندى المصرى، بل لكونها قادت نحو نزع غلالة الإحباط والغفلة التي كانت تعيشها المنطقة فى حينه.

وقعت المعركة عام ١٢٦٠م (في منطقة عين جالوت» بفلسطين) بين الغزاة التتار بقيادة «كتبغا» (وهو المعلم الأكبر لهولاكو)، وبين العرب بقيادة «قطز» حاكم مصر ورفيقه (الذي قتله فيما بعد وتولى الحكم) «بيبرس»، إنتهت المعركة بانتصار العرب.

قبل تلك المعركة (عين جالوت) بعث «هولاكو» إلى ملك مصر (الشاب الصغير المنصور) وقبل بهيمنة التتار على مصر، إعترض «قطز» ورفاقه، وتولى الأول حكم البلاد، ثم قرر الخروج إلى التتار. وقبل خروجه أجرى العديد من الإجراءات التي يمكن أن تسمى الآن «إعداد الدولة للحرب» بتوفير المواد التموينية، والسلاح، وجمع الضرائب اللازمة للإنفاق على الجيش وإستعداداته، بالإضافة إلى التهيئة النفسية الواجبة لكل المصريين.

لم تكن المعركة هي بداية التصادم، سبقتها الحرب النفسية ضد التتار، حيث كانت حيلة خبيثة وشهيرة، وطريفة أيضا. فقد تقدمت بعض الأفراد أو الجنود المصريين ممن يطلق عليهم بالعيون أو القوات المتقدمة، عددهم مائة، وهو نفس العدد من قوات الصليبيين (حيث علم بيبرس بالاتفاق بين الصليبيين والتتار على التشاور للتعاون معا، وهى مهمة المائة صليبى الذين قاتلهم بيبرس)

ثم أمر «بيبرس» باستبدال ملابسهم بملابس الصليبيين، وتقدموا حتى دخلوا معسكر التتار بالترحاب الواجب! ، فكانوا النواة التي عملت على إحباط الروح المعنوية للتتار، والعيون التي تبعث بأسرار الأعداء إلى ملكهم «قطز».

بعد أن أعد «قطز» العدة، بدأ بيبرس في المناوشات الصغيرة، والمعارك المحدودة. وعرف عن تلك الفترة، نجح «بيبرس» في التعاون مع الفلسطينيين بل ومشاركتهم، والبدء في إعداد قوات منهم، للمشاركة في المعارك الفاصلة.. بالإضافة إلى الاستعانة بهم في توفير الشئون الإدارية للقوات المصرية المتقدمة.

بدأت المعركة الفاصلة على مراحل..المرحلة الأولى بدأت بتحييد الصليبيين، وضمان عدم مشاركتهم للتتار. ثم بدأت المناوشات مع قوات التتار عند نهر «العاصي».

أما وقد بلغت القوات (حوالي ٤٧٧الفا) من الجنود المصريين والفلسطينيين والسوريين، بقيادة «قطز»، عسكروا عند النهر حتى يعد حاجزا ومانعا

طبيعيا لحماية القوات، حتى جاء ٣سبتمبر عام ١٢٦٠م وبدأت المعركة الكبرى.. بدأت بقذف المعسكر التتارية بالمنجنيقات من كل جانب،

ردت القوات التتارية بهجوم عاصف حتى إخترقوا جيش القوات العربية، إلا أن الخطة العسكرية المسبقة، أعطت لهذا الاحتمال الاحتياطات الواجبة. وبالفعل تعاملت الأكمنة العربية مع قوات الأعداء، بل أطبقت القوات على الغزاة بالجانب الأيمن والأيسر.. فيما تابع الأهالي الفلسطينيين المحليين وغير المشتركين في القوات المتحاربة، قامت بمطاردة القوات الفارة والشاردة.

رواية «وا إسلاماه» :

للروائى «على أحمد باكثير»، يسعى القائد التتارى «بلطاي» وراء «سلامة» مستشار السلطان المقتول الذى هرب مع الأميرة «جهاد» أو جلنار وريثة العرش والأمير «محمود» أو «قطز»، حيث يقوم سلامة ببيع محمود وجهاد كرقيق حتى يمكن إنقاذ حياتهما.. ينتهى بهما الأمر بمصر، إلى أن تصبح جهاد جارية في قصر الملكة شجرة الدر ومحمود قائد المماليك مع الأمير عز الدين أبيك. يلتقى سلامة أخيرًا بجهاد ومحمود الذين ينمو الحب بينهما، تبدأ سلسلة من المؤامرات على عرش مصر، وتنتهى بزواج الأمير «أيبك» من «شجرة الدر» التى تقتله عندما يحاول أن يجردها من سلطاتها.

وتقتل شجرة الدر على يد أرملة السلطان عز الدين أيبك، ويصبح عرش مصر خاليا فى الوقت الذى يحاول فيه التتار مهاجمتها. يهب محمود لجمع كلمة الشعب من أجل الدفاع عن مصر ويتولى عرش مصر ويقرر محاربة المغول، مع صديقه الظاهر بيبرس وينتصر محمود/ قطز وبجانبه جهاد على التتار.. خصوصا بعد أن شاركة الامير الظاهر بيبرس بجيشه او جنوده المدربين جيدا.. وكان الإنتصار الهام على التتار فى معركة «عين جالوت»

★★★

«عذراء دنشواى».. للروائي «محمود طاهر حقي»..

ربما أهم ما يمكن أن يقال حول هذه الرواية، هو بالضبط ما سجله الكاتب «يحي حقي»، في مقدمته للرواية للطبعة الثانية عام ١٩٦٣م (نشرت للمرة الأولى عام١٩٠٩)..قال:

«لك الحق إذا قرأت هذه الرواية التي صدرت أول طبعة لها في شهر يوليو سنة ١٩٠٩م، أن تسأل نفسك في شئ من التعجب: « لماذا يعاد طبعها سنة ١٩٦٣م؟»

هل باعتبار أنها من خزائن المكتبة العربية المندثرة التي ينبغي أن تبعث من جديد ليعرفها الجيل الحاضر ويدخلها في تاريخ نشأة الفن القصصى وتطوره فى بلادنا؟ ستؤخذ بأن الجانب القصصى المعتمد على الخيال فى هذه الرواية جد ضئيل، وأن جهد المؤلف يكاد لا يتجاوز تسجيل قضية دنشواى كما حدثت.

لم يصطنع أشخاصه إصطناعا، بل أخذهم بأسمائهم ومواطنهم ومهنهم من واقع الحياة، فوصفه هو وصف صحفي أو وصف المؤرخ على أحسن تقدير. إنه روى لنا على الترتيب..

كيف وقعت الواقعة في قرية دنشواى؟.. ثم دخل بنا إلى قاعة المحكمة المخصوصة لنشهد الجلسة ونرى القضاة، ونسمع شهادة الشهود ومرافعة النيابة والدفاع.. ثم صحبنا إلى ساحة التنفيذ لنحضر بشاعة أحط جريمة إرتكبها الاحتلال البريطاني..

تعد عذراء دنشواى أول رواية مصرية مؤلفة تباع منها آلاف مؤلفة من النسخ فور صدورها. وقد أعيد طبعها عدة مرات في فترة وجيزة...

لقد حدثنا الكاتب عن حب ساذج برئ بين فتاة وفتى من أبناء القرية، هما «محمد العبد» و «ست الدار» وبحكاية حبهما بدأ الرواية.

أفنقول: إنه من عجيب الصدف أن يظهر الفلاح لأول مرة في أول رواية تهز وجدان الشعب؟

أم نقول: إن هذه الظاهرة ليست وليدة الصدفة وحدها، بل هي نتيجة منطقية محتومة للتلاقى بين مخاضين طويلين محجوبين فى صمت باطنى: مخاض ولادة الرواية، ومخاض ولادة وحدة الشعب فى المحنة، وعثوره على نفسه وحاجته إلى التعبير عن هذه النفس...

ينبغي الاعتراف بأن رواج رواية «عذراء دنشواى وقت صدورها لم يكن مرجعه قيمتها الفنية، بل ركوبها موجة من الشعور المتقد الذي بثته قضية «دنشواى» في نفوس المصريين.. من مشاعر الاحساس بالظلم والرغبة فى مواجهته.

«فتاة الثورة العرابية» للروائى «يوسف أفندي حسن صبري»..

تقع الرواية في تسعة فصول، ويبدو أن الروائي التزم بما أشار إليه في «التمهيد» بالالتزام (غير الفنى) بالأحداث التاريخية والشخصيات وحتى الأسماء.(نشرت الرواية عام١٩٣٢م).

الفصل الأول.. «أدب المغفور له الخديوي سعيد باشا مأدبة بقصر النيل دعا إليها العلماء الروحانيين وأعضاء العائلة الحاكمة وأعاظم رجال الحكومة ورجال العسكرية.. بعد تناول ما لذ وطاب نهض سعيد باشا بين تهليل القلوب ورقص الأفئدة وقف بين صفوف الإجلال والرهبة والقى هذه الكلمة والتي كانت أول صيحة في مصر بطلب الحرية والاستقلال: «أيها الأخوان، إني نظرت في أحوال هذا الشعب المصري من حيث التاريخ فوجدته مظلوما مهانا.. وحيث أنى أعتبر نفسي مصريا فوجب على أن أربى أبناء هذا الشعب وأهذبه تهذيبا حتى أجعله صالحا...»

ويشير الروائي إلى أن أحمد عرابي كان ضمن الضيوف، وسعيدا بما سمع.لكنه يشرد في معسكره ولا ينام، يتساءل.. فيدور الحوار الكاشف

عـن أحـوال المصريـين في الجيـش بينـه وبـين جنـدي الحراسـة الخاصـة بـه. ذاك الجنـدي نفسـه يضـع بدايـة خـط درامـي مـواز للخـط التاريخـي المباشـر، حيـث يطلـب أجـازة مـن عرابـي للعـودة إلى قريتـه «قويسـنا» ليشـارك في عـزاء عمـه المتوفـى، وليرعـى إبنـة عمـه «خديجـة». وبـدأ الجنـدي «إبراهيـم دسـوقى» رعايتـه، ثـم تزوجهـا.

الفصـل الثـاني.. توفـى المغفـور لـه جنتمـكان محمـد سـعيد باشـا، وتـولى الأريكـة الخديويـة سمـو إسماعيـل باشـا ولايـة مصـر فأمـر بجمـع العسـاكر وترتيـب الآلايـات فـكان أحمـد عرابـي قائمقـام علـى آلاى البيـادة السـادس ولم يكـن غـيره مـن العنصـر المصـري بهـذه الرتبـة...

ثـم يعـرض الروائـي لبعـض المؤامـرات الـتي حاقـت بعرابـي. وفـى الجـزء التالـي يعـرض لتطـور العلاقـة بـين خديجـة وإبراهيـم. أخبرتـه أن ابـن العمـدة بترصدهـا، فأقنـع زوجهـا «عرابـي» بضـرورة القبض على الشـاب اللاهـي. بينما الجنـود في طريقهـم للقبـض علـى ابن العمـدة، إذا به مصادفـة يذهب إلى خديجة ليعـرض عليهـا الـزواج!، بل يحـاول الاعتداء عليهـا.. يدخل إبراهيـم لإنقاذها.

الفصـل الثالـث.. بعـد مضـى يومـان علـى هـذه الحـوادث، الضابـط حسـين أفنـدي يحـاول دخـول السـجن الحربـي وقـد تمكـن مـن ذلـك.. «وهـو المحـور المعـبر عـن الحيـاة العسـكرية في تلـك الفـترة. فقـد تعمـد الضبـاط الشـركس تصيـد الأخطـاء الـتي قـد يقـع فيهـا «عرابـي» لإزاحتـه ولأن يحلـوا محلـه. كمـا يعـرض الفصـل مـا كان مـع ابـن العمـدة.. وكيـف أن عرابـي ظالمـا بالمعاونـة في القبـض علـى ابـن العمـدة.

وصـل الخـبر إلى الخديـوي عـن طريـق ناظـر «الجهاديـة»، فيغضـب ويقول: «آه أنـا لا أعتقـد بـأن هنـاك مخلـوق شـرب مـن مـاء النيـل وأكل مـن خـيرات مصـر يسـعى في تأخرهـا...»

وتتـوالى الأحـداث الحربيـة الهامـة والمتمثلـة فـى بدايـات الثـورة، لقـد بـرزت علـى خـط متـواز مـع أحـداث الثـورة العرابيـة التاريخيـة المعروفـة، ولا

تنتهى قبل عرض الكثير من معارك عرابى حتى التل الكبير، ثم اعتقاله ورفاقه وترحيله خارج البلاد.

لتكون الفقرة الأخيرة في الرواية أثناء تنفيذ «عرابي» الحكم عليه بالنفي خارج البلاد:

«وبينما عرابي باشا يلقى آخر نظرة على شواطئ وطنه المحبوب.. ذاهب إلى منفاه.. كان الملازم إبراهيم أفندي (وهو جندي الحراسة لعرابي وزوج خديجة) يضع قبلة على فم زوجته خديجة. فسلام لك أيها البطل العظيم جهادك... وسلام لك يا إبراهيم بابنة الثورة...»

★★★

قص بطولات الجندى المصرى فى القرن ال٢٠

لن يدهش الراصد للمنتج السردى بالقرن العشرين، أن القص رصد وعبر عن مجمل التجارب الحربية التي مرت بها مصر، وعبر عن صمود وبطولات الجندى المصرى.

بداية من الحرب العالمية الأولى وما بعدها.. يكفى الإشارة إلى أحداث ثورة ١٩١٩م التي باتت من أهم الأحداث في العديد من الروايات.. وقد برزت الأسماء الهامة، منها: طه حسين، توفيق الحكيم، سعيد العريان، يحيى حقي.. وغيرهم. كما برز مؤسس الرواية العربية المعاصرة ورائدها الفنى «نجيب محفوظ» إلا بعد أحداث الحرب العالمية الثانية.

أما جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية، هم الذين رسخوا لفن القصصى والروائى، وأصبح إنتاجهم فيها هو البناء الفنى للرواية، منهم: «يوسف الشارونى – يوسف السباعي – يوسف أدريس – فتحي غانم – أمين ريان– محمد صدقي – عبد الحليم عبد الله... وغيرهم».

ثم كانت نكبة ١٩٤٨ في فلسطين، والتي بدأت ولم تنته، وأصبحت معينا للكثير من المبدعين..

ثم كانت معارك العدوان الثلاثي على بورسعيد في ١٩٥٦م، وقد كانت سببا في مولد أول روائية مصرية وربما عربية بالمعنى الفني «لطيفة الزيات» وروايتها «الباب المفتوح».

بعد تلك الحرب في ٥٦، شهدت الرواية المصرية/ العربية طفرة لم تشهدها من قبل.. ربما يرجع هذا إلى جملة المتغيرات السياسية والإقتصادية والإجتماعية التي مرت بها مصر. نشير إلى بعض أسماء: «إدوار الخراط، حسن محسب، ثم جيل الستينيات (علاء الديب، يوسف القعيد، عبدالحكيم قاسم، جمال الغيطانى. محمد البساطى، مجيد طوبيا، بهاء طاهر... وغيرهم).

كما كانت تجربة حرب اليمن ذات لها بصماتها من خلال: رواية «رجال وجبال ورصاص» لفؤاد حجازي، ورواية «حرب اليمن» لصبري موسى، التي نشرت في مجلة «روزاليوسف» ولم تنشر في كتاب.

أما وقد حدثت النكسة في عام ١٩٦٧م، ثم كانت حرب الإستنزاف بعد تهجير سكان مدن قناة السويس، ثم معارك أكتوبر ١٩٧٣م.. وكلها تكفلت بجيل كامل بدأ معها ومازال يعطى على الساحة الأدبية وقد رسخت أقدامه، منهم: «فؤاد حجازي- إبراهيم عبد المجيد- علاء مصطفى- محمد الراوي - فتحي إمبابى - سمير عبدالفتاح - مصطفى نصر- فؤاد قنديل - سعيد بكر - أحمد حميدة - قاسم مسعد عليوه - محمد عبدالله عيسى- سيد الوكيل- ربيع الصبروت- حسن نور- السيد نجم.. وغيرهم).

ملامح قص التجربة الحربية..

ذهب «رولان بارت» إلى القول: «أن الرواية عمل قابل للتكيف مع المجتمع، وأن الرواية تبدو كأنها مؤسسة أدبية ثابتة الكيان. لعله يعنى أن الرواية قادرة على التعبير عن الجماعات وأنها بالتالي من أكثر الأشكال الأدبية يملك صفة «الاجتماعي».

لقد شارك القص (القصة القصيرة والرواية) في التعبير عن الذات الجمعية.. فالمتابع لتقنيات وأشكال القص حتما سيتوقف أمام تلك التعددية والثراء التي أصبحت عليه. وقد عدت العوامل التي أعادت تشكيل الرواية المعاصرة بأربعة عوامل، هى الحرب العالمية الثانية.. الحرب التحريرية الجزائرية.. إكتشاف وإستخدام السلاح الذرى.. غزو الفضاء. (في نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد/ د.عبد الملك مرتاض/ «عالم المعرفة، العدد٢٤٠) لاحظ أن ثلاثة من أربع عوامل لها علاقة مباشرة بالتجربة الحربية.

★★★

نماذج إبداعية ترصد بطولات الجندى المصرى المعاصر:

«المعركة أو القاهرة ٥١» للروائى «أمين ريان»..(تجربة مقاومة الإحتلال)

كتبت حتى عام ١٩٥١م، ثم نشرت في عام١٩٥٦م. تنقل صورة شريحة «الفنانين التشكيليين» خلال فترة الكفاح السياسي والعسكري ضد الإحتلال الإنجليزي (قبل ثورة٥٢).

خلال فترة ما قبل الثورة ١٩٥٢م، نشطت مجموعات الشباب المصرى فى مجموعات من الأعمال الفدائية ضد معسكرات الانجليز. وقد عرض ذلك فنيا بلا صوت زاعق ولا توظيف المصطلحات الايديولوجية.. فخرج العمل إنسانيا، مخلصا لقيم الإنسان العليا في الحرية والسلام.

«غريب» و «هالة» رسامين متحابين، إنشغلا مع الرسامين الآخرين في إعداد لوحات يلزم تقديمها إلى مسابقة فنية. لكن غريب يعلم نفاق أخيه «إمام» الصحفي الذي قال أن خطوط رسم الملك (الطفل) خطوط عبقرية!.. بينما هناك من يدعو إلى الثورة والجهاد ضد المحتل.

الضابط «علاء الدين» أحب هالة، بل وزج في السجن من يقترب منها، أو حتى يدفعه إلى العمل المنافق المربح (كما فعل مع الرسام أنور). حل «غريب» مشكلة حيرته بالإنضمام إلى صديقه «يعقوب» في «اللجنة الوطنية»، وبدأ التدريب العسكري مع الفدائيين في معسكر حي العباسية.

في بور سعيد بدأ العمل الفدائي، كما قرر أن يكتب قصة حبه مع هاله، تلك الأنثى الرمز أو الأمل.. ولعلها مصر. استبدل الخيال بالواقع، وفشل في كتابة الرواية كما فشل في الإرتباط بهالة، ربما لأسباب أخرى غير الحب، لأسباب إجتماعية.

مع ذلك التقيا في الحياة ثانية، والمفارقة أن التقيا في تهمة الإشتراك في حريق القاهرة عام١٥٩وهو ما يعنى أن الكفاح والصراع الجمعي جمع بين المتناقضات، وحقق ما لم يستطع الحب وحده أن يحققه.

وان بدأ الفنان فكرة الصراع .. بأن الرسم بالفرشاة نضال وصراع أيضا ضد المحتل، فقد إنتهى به الأمر إلى الصراع الفعلي المباشر بالاشتراك في العمليات الفدائية. أما أن تكون لوحة «الجيرنيكا» حاضرة بالحاح فى كثير من المواقف، ليس إلا إزكاء لفكرة المقاومة.. وهى اللوحة الشهيرة حول موضوع الحرب التى رسمها «بيكاسو» عن الحرب الأهلية الأسبانية.

«الباب المفتوح» للروائية «لطيفة الزيات»..(تجربة حرب١٩٥٦م)

إرتبطت قضية تحرير الوطن بحركة التنوير منذ أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، فكانت قضية «المرأة» هي بؤرة التنوير،

ولا عجب أليست المرأة بؤرة الحياة. وقد مرت قضية المرأة بالعديد من المراحل والدروب، منذ رفاعة رافع الطهطاوى حتى الآن.

تعد الروائية «لطيفة الزيات» من الرائدات في العمل العام والإبداعي في الأدب وخصوصا في فن الرواية. وقد وظفت الكاتبة التجربة الحربية عام ١٩٥٦م أثناء العدوان الثلاثي على مصر، توظيفا فنيا (ذكيا).. حيث إنتهت الرواية مع الحرب، ولم تبدأ بها ولم تكن في متن الأحداث تفصيليا. ما أفضى إلى دلالة هامة، لخصت مجمل ما يمكن أن يكتب ويقال في آلاف الصفحات.

«ليلى» فتاة متمردة وطموحة.. تعترض ناظرة المدرسة الثانوية، لأن الأخيرة ترفض قيامها بالمظاهرة (مثل الأولاد) لمهاجمة الإنجليز أو المحتل الأجنبى فى تلك الفترة (تدور أحداث الرواية ما بين عام ١٩٤٦ حتى بداية العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م).

كما ترفض التفرقة في المعاملة داخل الأسرة بينها وبين شقيقها (محمود). ويبدو هذا التمرد مع أول علاقة عاطفية للبنت الصغيرة، وتلقى العنت والرفض.. تزداد حيرتها، وتعلن قلقها وغضبها: «...أمهاتنا كانوا فاهمين وضعهم، أما احنا ضايعين لا إحنا فاهمين إذا كنا حريم ولا مش حريم» ص٧١

وتصبح التجارب العاطفية هي التنقلات النفسية والفكرية، والحيلة التى توظفها الكاتبة للوصول إلى ذروة الحدث والدلالة التى تعنيها من أكثر من مائتي صفحة مليئة بالأحداث. فها هي ذي تحب الجار كما كل المراهقات ولا تستطيع تفسير تلك المشاعر مع وعيها ورغبتها في التمرد. ثم تحب أستاذها بالجامعة وقد إنتقلت إلى مستوى أعلى من الدراسة والمشاركة الحياتية، لكنه حب عن النضج ولم ينجح.

وفقت الكاتبة أن جاء الحب الناضج من خلال الممارسة الحياتية لتحويل الشعارات إلى أفعال، أفعال من أجل تحرير الوطن. تتعرف على المهندس «حسين» الذي يحمل الفكر المتحمس والعلمي والناضج.. كما يحمل المشاعر الصادقة. ربما لأنه مؤمن بقضيتها دون إفتعال أو إدعاء،

فالحب الحقيقي عنده هو أن يمارسه المرء سواء الرجل أو المرأة على الأرض ومن خلال التعامل مع الناس، من أجل كل شيء جميل.

أخيرا تشعر «ليلى» بالحرية، وأنها فعلا حصلت عليها، لكنه الحبيب يرفض مقولتها: أنها أخيرا حصلت على حريتها، ذلك لأن «الحرية» بداية وليست نهاية، وتحرر الوطن مع تحرر ليلى.

«رجال وجبال ورصاص» للروائي «فؤاد حجازي».. (تجربة حرب اليمن)

قليلة هي الروايات التي تناولت أحداث الثورة اليمنية (في سبتمبر ١٩٦٢). وقد أبرزت الرواية بعض من ملامح تلك التجربة الحربية الخاصة، وقد أفادنا الروائي وعرفنا بالاتي:

.. وجود فئة مؤيدة للجمهوريين (الثورة) وفئة أخرى من القبائل مؤيدة للإمام البدر (الملكيين).

.. لم تكن مهمة الجيش المصري سهلة أو هينة، فالرجال والرصاص في صراع دائم على الجبال، وتتبادل الجنود وأهل القبائل السيطرة عليها.

.. ملامح التخلف العام تغلبت على ملامح البيئة وسلوك الأفراد أحيانا.

.. للكاتب موقف واضح ضد الملكية .

إستخدم الروائي تقنية «الفلاش باك» في أكثر من موقف، وهو بذلك أتاح فرصة سرد المعارك العسكرية هناك. وعلى الرغم وفرة عدد من الشخصيات، إلا أن الروائي أعطى إهتماما خاصا لبطله الأساسي (المجند الذي سافر إلى اليمن مع كتيبته إبان الثورة اليمنية)، وبه ربط به بين الواقع المعاش بمصر والواقع الحربي باليمن.

على الرغم من أن الرواية تتناول الكثير من تفاصيل المعارك والحياة في اليمن، إلا أنها تعد من الروايات التي تعنى بموضوع «عودة الجندي».

ففي تفاصيل مطولة نتعرف على حياة الجندي الذي ذهب وقاتل، ثم عاد بعد كل تلك المعارك المريرة كي يرجو حل مشكلته مع عمله، حيث يعمل بجمعية عمال الأحذية، إفراطا في السخرية والمفارقة.

كتب الروائي الروايات: «رجال وجبال ورصاص» عن تجربة حرب اليمن، ثم «الأسرى يقيمون المتاريس» حول تجربة أسر خلال معارك ٦٧، ثم رواية «المحاصرون» حول تجربة تجدد القتال بعد أن صمتت المدافع وظن العالم (الصديق قبل العدو) أن الشعب المصري لن ينهض ثانية، فكانت سنة ١٩٦٨ بداية الصحوة، أي خلال سنة دوت المدافع ثانية وكانت الصحوة وتجربة «المحاصرون». وبعد سنوات طالت، كانت روايته الجديدة «الرقص على طبول مصرية» والتي تعد أنضج الروايات فنيا وتقنيا.. بالإضافة إلى مجموعة «سلامات» القصصية.

تتسم تلك الأعمال بقدر وافر من صور الصمود والتصدى والكفاح للجندى المصرى، سواء كان أسيرا أو خلف صخرة فى الجبال أو فى مواجهة طائرات العدو الغاشم. كما يلاحظ القارىء بساطة التناول والمعالجة الفنية والاسلوب مما يجعلها من الاعمال المحببة والشيقة نظرا لتعدد صور البطولة والصعاب التى يجتازها الجندى المصرى، مما يجعلها شيقة وجاذبة.

إبداع بطولات التجربة الحربية فى معركة العبور (١٩٦٧ إلى ١٩٧٣م)

لن يدهش الراصد للإبداع الأدبي خلال معارك أكتوبر٧٣، أن بدأ الجندى المصرى الجهاد والمقاتلة بعد أيام قليلة من تمام إنسحاب كامل القوات البرية من سيناء، وإنهيار أغلب عناصر قواته الجوية.

لقد كانت معركة رأس العش ثم تدمير المدمرة «ايلات» بالقوارب الصاروخية، الأقل تسليحا والأصغر حجما، يعد الإنذار المبكر، ودليلا على جدية الإرادة والرغبة فى إستعادة الأرض.

وتكفل جيل بكامله من المبدعين بمهمة رصد تلك التجربة الحربية التى شغلت الفترة، بداية من الأيام القليلة بعد أحداث ٥يونيو حتى تمام معارك العبور فى أكتوبر٧٣، منهم: «فؤاد حجازي- يوسف القعيد- السيد نجم - جمال الغيطانى- إبراهيم عبد المجيد- فؤاد قنديل- قاسم مسعد عليوة - رجب سعد السيد- علاء مصطفى - محمد الراوي- فتحي إمبابى- سمير عبد الفتاح - مصطفى نصر - سعيد بكر- أحمد حميدة - قاسم مسعد عليوه - محمد عبد الله عيسى- سيد الوكيل- ربيع الصبروت- حسن نور، محمد السيد سالم.. وغيرهم.

★★★

البطل في الرواية الحربية:

إن جوهر شخصية الأمم، يبدو جليا فى أدبها، وما أحوجنا إلى تجاوز كل ما هو آني ويومي ومتغير للبحث عما هو جوهري ودائم. و البحث عن «البطل» في الرواية الحربية.

صحيح فكرة «البطل» قديمة قدم الأساطير والملاحم، وجنس الرواية.. وصحيح أيضا أن الرواية المعاصرة أصبحت «رواية بلا بطل»، ومحاولات قتل البطل مستمرة منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، حتى أن «الآن روب جرييه» منظر الرواية الجديدة في كتابه «نحو رواية جديدة» أعلن موت البطل لأنه لم يعد للغرب الأوروبي حاجة إليه. وقال: «ينبغي بناء عالم أكثر صلابة ومباشرة بدلا من عالم الدلالات .. ولتفرض الأشياء والحركات التعبيرية نفسها..»

ومع ذلك لا يمكن إغفال «البطل».. إن كان بلا اسم، أو رقم، أو حتى شبح يشار إلى أفعاله ولا نعرف شكله وسمائه.. لا يمكن إغفاله إن تحقق وإنتصر وان زاغ وخبا بعيدا عن العالم في السحاب أو بين طيات النسيان.. إن كان فاعلا أو مفعولا به .. وحتى إن كان شيئا من الأشياء.

obeikandl.com

من هو البطل؟.. لأن التجربة الحربية عامة/ خاصة، فهي قادرة على إنتاج أبطالها. ولأنها لحظة تاريخية للشعوب والأفراد، فكل من يتجاوب معها ويتفاعل، فهو داخل التاريخ . المؤرخون وحدهم هم المسئولين عن تمجيد الاسكندر الأكبر ونابليون وحتى هتلر، أما المبدعون فهم المنوط بهم تمجيد البسطاء والفقراء والعامة، على شرط أن يكون داخل التاريخ فاعلا معطاء ويبذل الجهد والدم.

أنماط البطل في الرواية الحربية.. البطل الأسطوري، وهو الإيجابي والباحث عن المجهول.. البطل الملحمي، وهو الذي يتقدم الجماعة وينتصر.. البطل الشعبي، وهو الذي ينشأ في بيئة شعبية، ويتشبع بروح الجماعة، مع بروز البعد الديني والصياغة الشعبية للرواية.. البطل الدون كيشوتي (نسبة إلى دون كيشوت) الذي حمل قضيته في قلبه وخرج وهو يعلم مقدار المشقة وقلة الحيلة أمام الواقع الخارجي.. البطل المتأمل والمنسحب إلى الداخل.. البطل التعليمي، أو البطل الملتزم، وهو ما يحرص الروائي على إيصال المقولة قبل توفير أدوات إيصالها فنيا و تقنيا.. البطل المحوري، هو التجربة الحربية كلها، على الرغم من وجود الجماعة، وغالبا بتعمد من الروائي الاحتفاء ببطولاته.. البطل المهزوم، المحبط والمتشائم، وربما يصل إلى اللامنتمي.

أتاحت «التجربة الحربية» دروب وحيل للراوي لأن يقول، رفضا أو قبولا لتلك الحرب التي إشتعلت. ربما نشير في عجالة إلى حاجتها في الوطن العربي كله إلى «البطل» لا إلى «شخصية البطل»، نبغي الإنجاز والقدرة على التحمل، نريد الواعي والقادر على إعمال القرار، نريد من يفهم أن «الصراع» هو جوهر سر الحياة. أما ذاك البطل المحبط وقد انزوى في عتمة النكوص (أللابطل) فلن نرفضه فنيا..لندع المبدع يقول ما عنده لعله يعلن عن رفض ما ونبؤه بمولد بطل آخر..عالم آخر، أكثر سلما وأكثر حرية .

«الأسرى يقيمون المتاريس» للروائى «فؤاد حجازى» (تجربة الأسر)

عن تجربة حقيقية داخل معتقل «عتليت» الإسرائيلى بعد أسر «حجازى» في عام ١٩٦٧م، تبدأ المعاناة بالإهانة ثم بالحرمان من المأكل والمشرب والنوم. في ظل تلك الأحوال القاسية، يبدو المعتقلون فى ذروة روحهم المقاومية، تلك التى بدت فى مظاهر قد تبدو بسيطة أو هينة، إلا أنها دالة ومعبرة عن ذلك البطل الإنسانى البسيط من فلاحى وصعايدة مصر.. الجندى المصرى.

كما كانت تدبر الحيل من السجناء، برسم «النجمة الإسرائيلية السداسية» على قمصان بيض ثم إحراقها. يكتب الروائى معبرا عن أحوال الأسرى يقول: «بالأمس وأنا أنظر إلى وجوه لا أعرفها إعتراني الحزن.. كان أحدنا جريحًا في فخذه يداه طليقتان تستطيعان الحركة وهو الوحيد معنا الذي يحتفظ ببندقية سريعة الطلقات قام من فوره، فك لي بنطالي الخارجي، وأنزل لباسي وتحاملت عليه، حتى أفرغت أمعائي؛ لم يبد أي ضيق أو تأفف ولم تنمّ عنه أي خلجة تجرح مشاعري؛ في حين كنت أنا متضايقًا جدًّا، وعندما لمح ضيقي، ضحك مخففًا عني وناولني ورقة أنظف بها نفسي.. فعل نفس الشيء مع بقية الجرحى، وقدر لي ألا أتمكن من عمل ذلك ثانية إلا بعد أيام من وصولي إلى إسرائيل»

«كانت أول مرة نرى فيها الإسرائيليين عن قرب، أشار لهم أحدنا أننا جرحى، هم صديقُنا الواقف بجوار الباب بإطلاق الرصاص عليهم تمنيت في فرارة نفسي ألا يفعل... ألقى صاحبنا بندقيته من فرجة الباب أطلقوا علينا النار فورًا أصاب الرصاص صاحب البندقية فخر جسده فوقي وتلقى عني رصاصهم المنهمر وكان أسفي عظيمًا على صاحبي الذي لم يطلق النار في محاولة لإنقاذنا نحن الجرحى وأحسست بوخز لما تمنيته قبلاً».

تتميز الرواية بالبساطة لدرجة الإثارة في تشريح آلام جنود و وطن في صراعه مع العدو، لقد حرم الأسرى من كل شيء، تضميد الجراح جرعة ماء، وجبات الطعام، الملابس النظيفة و الإستحمام، صابون التنظيف وحتى الخطابات القادمة من مصر و الهدايا المرسلة عن طريق الصليب الأحمر. وسط تلك الأحوال تم إصدار صحفا ومجلات حائط من ورق أكياس شكائر الإسمنت يكتبون فيها تحليلاتهم والنكات التى شاعت بينهم، ثم كوّنوا فرقًا موسيقية مسرحية لعرض روايات كثيرة ومنها اوبريت»ليلة مصرية»!

★★★

«اسكندرية ٦٧» للروائى «مصطفى نصر»(تجربة المقاومة الشعبية)

أحداث تلك الرواية خلال الفترة السابقة على أحداث نكسة ١٩٦٧م وما بعدها بقليل. والحدث الأساسي بها هو تسلل بعض من الضفادع البشرية من القوات الإسرائيلية والإختباء في دهاليز قلعة «قايتباى»، ثم فرارهم والإختفاء في عيادة الطبيب اليهودي «دكتور يوسف داود» بحي الأنفوشى، حتى تم القبض عليهم. حصر الروائي الأحداث في حي الجمرك والأنفوشى..

الدكتور احمد الدسوقى، قدم الى الاسكندرية من المانيا قبل النكسة، بعد أن إنتهى من دراساته العليا. وصل يحمل جملة الأفكار التي رفضها العامة من المحتشدين في المؤتمر العام الذي عقد قبل بداية المعارك بقليل، وقد عرض «الدسوقى» رأيه بعدم قدرة البلاد على مواجهة عسكرية مع إسرائيل.. وتنبأ بهزيمة مصر، وهو ما برره بأن الغرب يدفع بعبد الناصر إلى معركة غير معد لها، كما أن الإعلام في مصر هول من قوة مصر، بينما هون من قوة إسرائيل.. فما كان من المصريين الا أنهم ضربوه ضربا مبرحا.

كما أن الولد «حسن» الذي يتسم بالذكاء وحسن التصرف، فهو من نجح في إكتشاف المتسللين من رجال الضفادع البشرية الإسرائيلي بالإختباء داخل القلعة التاريخية. أبلغ سكان الحي ورجال الشرطة. وتوالت الأحداث التي شارك فيها الصبي النبيه.

ثم السياسين المنتفعين بالتنظيم السياسي «الإتحاد الاشتراكي»، لعبوا دورا زاعقا ومملا إلى حد أن سعوا إلى معاقبة الدكتور الدسوقى، وترتيد الشعارات التى راجت فى تلك الفترة، من أن مصر سوف تلقى باسرائيل فى البحر.

كما قدم الروائي مجموعة من اليهود المصريين المقيمين بالإسكندرية: دكتور داود وقد لعب دورا في إخفاء المتسللين داخل العيادة، الدكتورة «آمال» التي تعتقد أنها مصرية وان كانت يهودية وتشعر بالرغبة في البقاء بمصر أفضل لها من الهجرة إلى إسرائيل كما فعل غيرها. كما أن «فيكتور» اليهودي بقى بمصر وفتتح الكازينو الذي يعد بؤرة للبغاء وممارسة القمار.

تعد الرواية من روايات البطولة في التجربة الحربية، وان كانت في ميدان غير ميدان المعارك الصريحة بالرصاص والقنابل، بطولة شعبية.

«لا تبحثوا عن عنوان.. إنها الحرب. إنها الحرب» قصص «قاسم مسعد عليوة»

تتضمن المجموعة بعض تجارب حرب الإستنزاف تلك الحالات المتعددة للتجربة الحربية كما هى وكأنها كل الهم والواجب رعايته، هكذا كان يفكر القاص وهو يضع عنوانا لحوالى عشرين من القصص القصيرة كتبها (من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٤م) ونشرت المجموعة فى عام ١٩٩٩م. قصة «الإنفصال».. يفضل الجندى أن يقضى فترة الاجازة الميدانية بمدينة القاهرة، رغبة منه للترفيه عما يلاقيه من عنت وارهاق بالجبهة، ما حدث أن بان للجندى قدر الترفيه الذى تعيشه القاهرة، مما دفعه للعودة إلى وحدته على جبهة القتال غير نادم.

قصة «سهرة ماجنة».. تؤكد تلك القصة ما ذهبنا اليه من أن القاص وضع نصب أعينه الالتزام بكل ما هو حقيقى وصادق ومنتمى إلى جملة القيم المصرية، أولها فى تلك الفترة تحرير الأرض، وربما عنوان القصة يشى بجملة دلالة القصة والهدف من ورائها.

قصة «لا تبحثوا عن عنوان».. قصة لافتة، لعلها من أكثر القصص تعبيرا بالمشاعر الانسانية الفطرية، وهى التى سميت بها المجموعة القصصية. فقد اشتدت الحرب فى صورة قذف لا يهمد من طائرات العدو ثم بالمدافع حتى كانت محاولة الشاب العفى لانقاذ من يصاب فى تلك البناية الحكومية، وحدث أن شاركته إحداهن لا تقل عنه حماسا ورغبة فى رعاية المصابين.. رواديدا تشاركا ورويدا تواصل كل منهما بالآخر، ورويدا تعانقا.. إنها الحياة، الفطرة التى فطر الله الإنسان عليها من أجل البقاء. قصة «التوافق».. وهى ترى التجربة الحربية من زاوية أخرى حيث يرسم القاص صورة الحياة لأحد مصابى المعارك، وعلى قدر ما يعانية الشاب من جراء الإصابة، لا يلقى ما يستحقه من رعاية وإهتمام من المجتمع، ولا حتى من المقربين منه، فزادت المعاناة ولم يتحقق التوافق. قصة «ذات يوم حافل».. تعد القصة على وجهين الأول إنسانى إجتماعى، والآخر رمزى له دلالة خاصة مع التجربة الحربية.. فقد كان أنين المرأة لافتا بينما الشاب منشغلا بأمر ما، فلما إنتبه وذهب إلى مصدر الصوت، بان له أنه أمام سيدة تلد وعليه اتمام مهام القابلة، وبالفعل ساعدته المرأة حتى استقبل الوليد بين ذراعيه، ولنا القول بأن دلالة القصة ليست ميلاد الطفل، بل هى الحياة الباقية مقابل الموت الداهم بسبب الحروب.

«بشاير اليوسفي»..للروائي رضا البهات(تجربة المقاومة فى الجبهة وفى الداخل)

«حـرب» الإسـتنزاف ليسـت سـوى الفـترة التاليـة عـن معـارك ٦٧ إلى منتصـف عـام ١٩٧٠م، وقـد بـدأت القـوات المصريـة في إثبـات تواجدهـا والتمهيـد لمعركـة العبـور.. وهـو مـا دفـع الكاتـب إلى تسـجيلها في تلـك الروايـة. تقـع الروايـة في قسـمين: «بشـاير اليوسـفي» و«المبدلـون».

القسـم الأول، عـرض الـراوي لذكرياتـه بالجامعـة، ثـم التجنيـد، ثـم أحـداث حـرب الإسـتنزاف ثـم أحـداث أكتوبـر والعبـور.. بالإضافـة إلى وصفـة لمدينـة السـويس حيـث أحـوال المهجريـن بعـد ٦٧ وأحوالهـا صامـدة بعـد الثغـرة. كان وصـف المـكان شـائقا جذابـا، فالـراوي داخـل عربـة القطـار حيـث الطـلاب والعجـوز والجنـود.. وبائعـة اليوسـفي، ثـم ينتقـل بريثـم أسـرع إلى حـرب الإسـتنزاف والحصـار. تميـز الأسـلوب بقـدر مـن الحديـة والتوتـر بمـا يتـلاءم وتوتـر اللحظـة.

أمـا القسـم الثـاني، نـرى مـع الـراوي القاهـرة بـكل تناقضاتهـا، مـع الحلـول الفرديـة للبعـض بالسـفر للخـارج أو بالهجـرة الكاملـة.. وحتـى قريتـه قدمهـا لنـا بتناقـض وفـرة الأجهـزة العصريـة في البيـوت والعقليـة السـلفية في الـرؤوس. نعيـش مـع سـيدات القريـة أمـام الفـرن والإعـداد لإحتفالاتهـم الطقوسـية التقليديـة.. حيـث الحيـاة اليوميـة، إلا أنهـا لقطـات راصـدة تضيـف إلى البنـاء وليسـت مجانية.وفيـه نتعـرف علـى «خلـود» الحبيبـة الـتي تبـدو ممثلـة للفطريـة و يبقـى هـو المثقـف المحـارب.

ومـع القسـمين تتوحـد روابـط قـد تبـدو بعيـدة إلا أنهـا دالـة.. فالـراوي مشـترك. واليوسـفي لـه حكايـة بـين الفتيـان والفتيـات داخـل القطـار في القسـم الأول، ولليوسـفي مذاقـه الخـاص في زمـن الحصـار.. كان ممزوجـا بلسـعة مـن ملوحـة البحـر. كمـا أن وصـف الـراوي للنيـل أضـاف معنـى دلالـي وفيـه مـن

الترميز ما أضاف إلى العمل الروائي، وان غلبه التوتر فخاطب النيل قائلا: «أيها النيل المتراخي .../ لماذا أنت مطمئن؟/ أو قل.. ماذا تدبر لنا بعد؟»

وإذا كانت عربة القطار وحدت بين الناس، فالمعارك وحدت بين المقاتلين، والطقوس الحياتية وحدت بين النسوة، والنيل يجرى على أرض مصر.. إنها البطولة غير المفتعلة بطولة الحياة للجندى والمدنى المصرى معا.

«الرفاعى»..للروائي «جمال الغيطانى»(تجربة فدائى حرب الاستنزاف)

تقع الرواية في ثلاثة أقسام: «العد التنازلي» حيث زمن أحداث معارك أكتوبر٧٣. وقد قدم فيه الروائي صورة بانورامية لإنتصارات ومنجزات تلك المعارك، متضمنا الشخصية المحورية «الرفاعى»، وهو قائد مجموعات القوات الخاصة والتي عادة ما تكلف بمهام لا يعلن عنها، وقد تبقى لفترات طويلة غير معلنة، إلا أنها دوما للتمهيد أو للإعاقة.

القسم الثاني «التكوين» وهو إرتداد زمني سابق عن أكتوبر٧٣. بداية من هزيمة يونيو٦٧ ومرورا بجمع الشتات، والتدريب العنيف حيث الرفاعى يتجلى مخلصا لقضية الأرض ولمهمته، ثم العمليات البسيطة التي تم تنفيذها عبر شاطئ القناة، إلى معارك «حرب الإستنزاف» التي شهدت بطولات، ربما لم تسجل بكاملها حتى الآن. وان قدم «الغيطانى»بطله الرفاعى على قدر وافر من الحب والتقدير، وسجل له ولمجموعاته أعمالهم التي قد تبدو شبه معجزة .

القسم الثالث «النشور» حيث أستشهد الرفاعى، وتحول إلى حكاية أو أسطورة يردده البسطاء من الناس والخاصة. كيف لا يحدث ذلك وهو الذي استشهد من أجلهم. وكأنة أسطورة إيزيس وأوزوريس، فقد تولت الزوجة في هذا القسم مهمة الراوي (في أغلبه) وكذا رجاله من الضباط والجنود. فأصبح الرفاعى رمزا متجددا للبطولة .

وإن كان القسم الثالث فنيا وظف فن الحكاية الشعبية، والأسطورة، فحياة «الرفاعى» من الثراء بحيث أضافت وربما أوحت إلى الكاتب . فقد كانت شخصية الرفاعى فيها من العمق والصدق والأمانة العسكرية مع الرغبة في التضحية والفداء، ما جعلها مادة ثرية للراوى. فهو الذي اشترك في العمليات الفدائية الفلسطينية، ومع المجموعات الخاصة للقوات السورية. كما كان من النشاط والفاعلية بمصر بحيث نفذ عمليات صعبة وشبه مستحيلة في الصحارى والبحار، أعلى الجبال وفى جزر البحار. (نشر حول هذا البطل فى تحقيق صحفي، ثم كتب قصة قصيرة عنها «أجزاء من سيرة عبدالله القلعاوى».. ثم الرواية)

«أوراق مقاتل قديم» قصص للسيد نجم (تجربة بطولات صمود الجندى قبل العبور)

تضم المجموعة سبع قصص قصيرة: الطيور الفزعة– أوراق مقاتل قديم – الهدية – الصفر ليس آخر الأعداد– فريق متضمنش يتحدى– نقص عن الرقيب «عنتر»– دبلة زواج– عودة الغائب منذ فترة طويلة.. (صدرت عام١٩٨٨م)، عناية بالعالم العسكري، حيث ترصد حياة الجندى المنتظر لحظة الانطلاق أو العبور أو إعلان الحرب! ذلك الجندى يبدو إنسانا قويا صلبا يواجه الموت فى شجاعة، ولا يعلن البطولة، ولا يرى الملائكة إلى جواره تقاتل عنه، وليس فى بنيانه قوة خارقة، أو مزيج من الإلوهية مع البشرية، أو ادعاء لقوة بلا حدود، لكنه يواجه الموت.

«**الطيور الفزعة**»: تلك القصة التى تابعت المجند المستجد فى وحدته الجديدة على الجبهة، حيث رصد الفزع على العصافير فوق اسلاك الضغط العالى القادم من السد العالى الى مدينة السويس القريبة.. تعد القصة الوجه الاجتماعى لحياة الجنود تحت النيران خلال فترة حرب الاستنزاف، ولا تنتهى الا مع اعلان وقف اطلاق النيران فى عام ١٩٧٠م.

«**فريق ما تضمنش يتحدى**»: أما وقد رصدت احدى القصص مرحلة ما بعد العبور، لا شك أن القارئ سوف ترقد فى ذاكرته صورة ترسمها إحدى القصص لمجموعة من المقاتلين المحاصرين بالعدو وبالموت، ينظمون دوريا للكرة الطائرة التي لا يتقنون فنونها، ويطلقون على فريهم بسخرية عجيبة «فريق ماتضمنش»، فهم لا يضمنون أفوز فى المباراة، ولا يضمنون الفوز فى الحرب، ولا يضمنون الفوز بالحياة فى الصراع مع الموت. لا شيء مضمون، والحياة نوع من اللعب الجاد النبيل فى مواجهة الموت.

«**الهدية**»: أما وقد بدأت المعارك فلا مناص من متابعة تلك الاحداث والمفارقات، كما فى تلك القصة، حيث وصل المصاب الى المستشفى الميدانى، وبلرغم من كل ما يعانيه من أمل بدى معلقا بلفافة فى يدة وكلما حاولوا أخذها منه يرفض.. واخيرا نطقها، انها هديته الى خطيبته، انها قطعة ممزقة من علم الاعداء بعد الاستيلاء على احدى الحصون على الضفة الشرقية.

«الحرب في بر مصر» للروائى «يوسف القعيد» (تجربة الحرب على فساد الداخل)

الحرب هنا ليست طلقات الرصاص وقذائف المدافع والطائرات.. هى صراعات ومخالفات وتزوير فى احدى القرى بسطوة العمدة، بينما الحرب المعروفة فى خلفية الاحداث وبسببها.

تدور أحداث «الحرب في بر مصر» في قرية من قرى مصر قبيل حرب ١٩٧٣، حيث يقوم عمدة القرية بسلب ارض الخفير الخاص به بحكم قانون يلغي أحكام الإصلاح الزراعي، ثم يقترح للخفير باستعادته لأرضه في مقابل ان يقوم بإرسال ابنه «مصري» المتفوق في دراسته، بدلا عن ابن العمدة للتجنيد.

برر العمدة فعلته قائلا: «ان والدى يقول لو ذهب أحد منا إلى الجهادية لاهتزت شجرة العائلة وتقوست وأقتربت من الأرض.. ولما كان عمر هذه الشجره يعود الى زمن المماليك والأتراك فى مصر فلا يصبح من حقى العبث به»

بينما أخبر كاتب مواليد البلد العمده بان الشاب الصغير «مصرى» ذهب الى مكتب بريد البلد يسأل عن إستمارة تطوع للجيش والالتحاق به. و علق العمده بارتياح قائلاً: «إن الخدمة فى الجيش هى الوسيلة الوحيدة للحصول على وظيفه مضمونه.. يوجد نظام فى القوات المسلحة ان من يخدم فيها يحصل على وظيفة ثابته بدرجة حكومية بمجرد انتهاء خدمته»

وتتوالى الاحداث بالتحاق «مصرى» باسم ابن العمدة بعد إستخراج أوراق رسمية تثبت الاسم الجديد لابن الفلاح «مصري» باسم ابن العمدة، ويوخذ منه كل ما قد يثبت هويته القديمة. يلتحق «مصرى» بالجيش وتبدأ الحرب الذى يستشهد بها ببسالة لكن الأوراق الرسمية تشير إلى أن ابن العمدة هو الذي أستشهد، و لذلك يضطرالعمدة إلى تقبل العزاء المصحوب بالثناء و التمجيد لبطولة ابنه! بينما الابن الحقيقي حي يرزق! يستمر ظلم العمدة بعدم تسليم الجثة إلى الوالد المكلوم، و تدفن خيوط اللعبة مع الشهيد. هكذا تبدو بطولة المصرى مع عدو الخارج والداخل.

«الرجل والموت» للروائي «محمد الراوي».. (تجربة ميتافيزيقية عن الموت والحرب)

ترى كيف يكون الحال عندما نفقد حريتنا؟ يقول الروائي «محمد الراوي» إنه الموت.. الحرية أو الموت، بل فقد الحرية يساوى الموت. خلال الصفحات الأولى، حيث الحصار والهلاك، يقول الراوي وهو يمر بين الأبنية المحطمة، والجثث المرئية وغير المرئية.. بين روائح العفن والمخلفات والدم المتخثر.. أما وقد أخذت الراوي سنة من النوم، فسمع من همس في أذنه: «قم..قم.. أيها الرجل وألا قضى عليك الموت، وأنت في مكانك، وأظن أنى أكلم نفسي، وأهمس حيث لا يسمعني أحد ومرة ثانية أتاني الصوت كالهسيس في أذني صوت غريب على.. لم لا تتحرك أبق في مكانك، ولا تقم أبدا حتى يأخذك الموت»

تعد تلك الرواية «النوفيلا» من الأعمال التجريبية، ومع خصوصية التجربة التي غالبا ما تكون الكتابة حولها.. واقعية، ألا وهى التجربة الحربية، حيث الحصار أو قيد الحرية. إلا أن الروائي إستخدم التوثيق أو التسجيل الفني، وهو القائم على الرصد الفني. لكنه – أي الروائي – شاء أن يستخدم تقنيات السينما والفنون الأخرى، بلا إفتعال.. وهو ما أضاف إلى العمل أهمية خاصة.

أما التناول الخاص لمعنى الحرية، فهو ملمح أكيد وهام.. حيث فقد «الحرية» مساويا «للموت» بالمعنى المطلق.. الموت الفزيقى، والميتافيزيقي.

«الوسام».. للكاتب «عادل النادي»..(تجربة نماذج بطولية)

هو متوالية قصصية للكاتب، عالجت التجربة الحربية، وقد كتب في زمن الحرب، بل في زمن الواقائع، يقول في خاتمة كتابه: «أما هذه الخاتمة فوجدت نفسي أجلس دون أن أشعر فوق حطام من حطامات معدات العدو، فوق دبابة أم٦٠ أمريكية الصنع، وهى أحدث ما أنتجت المصانع الأمريكية. لا بل ليست دبابة، فأنا آسف يا عزيزي، فأنا جالس فوق أطلال دبابة»

ولقد قدم فصول كتابه متفرقة، كل فصل كتبها في مكان محدد ومختلف عما سبقه.. وفى المجموع تشكل الأماكن والفصول التطور الزمني والواقعي للأحداث.. أحداث التجربة الحربية الفعلية في ميدان المعارك. هنا التجربة من الداخل، تفاصيل مكانية مغايرة ودلالات مختلفة.

فقد كتب وسط حطام طائرة فانتوم، وأخرى داخل حصن من حصون بارليف الحصينة التي قالوا عنها أنها صامدة أمام كل التسليح إلا القنبلة الذرية، وثالث أمام علم مصر مرفرفا فوق أرض سيناء، وأخرى فوق حطام عربة نصف جنزير، وأخرى فوق حطام دبابة «باتون» و«سانتريون... وغيرهما. ثم كانت وقفة الكاتب فوق أطلال برج إستطلاع إسرائيلي .

المتابع لتلك الوقفات، والذي عاش تجربة العبور لحظة بلحظة يتأكد أنه مع بداية الصفحة الأولى كانت بداية المعارك، ومع الخاتمة كانت النهاية.. والتي تحمل دلالة غير خفية، وربما مع قراءاتها بعد كل تلك السنوات تتعمق الدلالة وتتأكد.

يبدو الكاتب وكأنه في جلسة سمر يحكي ويقص.. المفردات العربية البسيطة، الحكاية الشيقة التي اكتسبت عنصر التشويق من الأحداث المثيرة التي تتناولها، وعن عمد من الكاتب، ما بين توظيف الأسلوب الاستنكاري والتقريري، مع الأسئلة والإجابات غير المتوقعة، مع الحوار والسرد، حتى بدت الاعمال متوالية قصصية حول أشكال البطولة.

«دوى الصمت» للروائي «علاء مصطفى»(تجربة الأسر)

يبدو عنوان تلك الرواية دال ويعد نافذة مضيئة عما تتضمنه من أحداث وشخصيات ورؤى، تلك التى يتبناها الكاتب من خلال شخوص الرواية. لعل ذاك التناقض بين كلمتي «دوى» و«الصمت» لا يمكن أن يكون إلا عندما يكون هذا الصمت ليس الموت التقليدي، ربما صمت «الشهيد»، ولعله «الشهيد الأسير»..الذي يبقى لفترات طويلة وعلى مدى التاريخ مدويا.

قد يصل الإستشهاد إلى درجة الرجاء في تحققه في زمن الحروب القذرة، وخصوصا مع تجربة الأسر، وهو بالضبط ما التقطه الكاتب مع إحدى الشخصيات المصابة داخل إحدى المستشفيات الإسرائيلية: «جرى إنتخاب عدد غير قليل من الأسرى وضمهم بعنبر نظيف مريح، حيث العناية والرعاية الطبية الفائقتين، ولأن الكرم من جهة العدو نذير سوء، دخلت ممرضتان إسرائيليتان إلى العنبر وإصطحبتا أسيرا مصابا في ساقه، وعلى منضدة العمليات وقبل أن يغيب وعيه أثر حقنة البنج المغروزة في عروقه، تلاعبت ابتسامة رقيقة على شفتي الطبيب وقال:

«إن أحد أبنائنا أصيبت عيناه أثناء الحرب... وحتى يبصر سأحتاج إلى أخذ عينيك!»

وكانت إبتسامة الطبيب آخر ما وقع عليه بصر الأسير إلى الأبد!»

قليلة هي الروايات العربية التي تعالج تجربة الأسر في التجربة الحربية، ولولا تلك الرواية «دوى الصمت»، و«الأسرى يقيمون المتاريس».. لخلت المكتبة العربية من تسجيل تلك التجربة، على الأقل في رواية التجربة الحربية المصرية.

حكايات الغريب» قصص للقاص «جمال الغيطانى» (تجربة ترميز البطولة)

قصة «حكايات الغريب» واحدة من ست قصص قصيرة بالمجموعة التى تحمل الاسم نفسه. تتناول القصة حياة هذا العامل فى احدى الصحف القومية، وعليه الانتقال مع سيارة توزيع الصحف النتابعة للدار الى أماكن مختلفة من البلاد.. ومواطننا هنا كان فى مأمورية لتسليم الصحف بمدينة بورسعيد.لم تكن حرب ٧٣ وما تحقق وقتها من انتصار، إلا نتيجة لحظات متراكمة من الهزائم، حاول الفيلم تجسيدها في هزائم اجتماعية ونفسية في الأساس، قبل أن تتحول إلى معركة كبيرة في الصحراء. وهي محاولة لتجسيد حال المواطن المصري الذي ظن الجميع أنه تناسي أرضه المسلوبة، وبصيغة بلاغية، شرفه الضائع.

إن فقد هذا المواطن البسيط المجهول جعله شخصية هامة ومحورية عند الجميع: المسؤلون، أهالى المدينة، الزملاء، بل أصبح خبر وإهتمام اعلامى لافت.. وهو لم يكن كذلك مع حضوره الجسدى! ومع تلك الحالة من الغياب التى تعبر عن غياب البسطاء من المصريين، لا يبدو على صفة واحدة ولا خصلة واحدة فقد تبدى نموذجا لافتا: يذكرونه بصفات الشجاعة والاخلاص والمرؤة، بل والتضحية والفداء.. فى المقابل

يبدو عند القارىء الحصيف معبرا عن حالة وصفات الشعب المصرى كله خلال تلك الفترة.. (قبل معارك اكتوبر٧٣)

تتواصل رحلات البحث، والسؤال عن صاحب الصورة «عبد الرحمن»، بينما يشتركون فى الوصف يختلفون فى اللقب أو الاسم (محمد- كمال- زخارى - خلف) المُلقب دوماً بالـ (الغريب).. وتبدأ الحكايات حوله بداية من كونه شجاع وبذل الجهد فى نقل المصابين والشهداء، بل وسحب السلاح وقاتل.. وبلغ الأمر بجعله أسطورة بطولية!

«يوميات على جدار الصمت» للقاص «محمد سالم»(تجربة معركة العبور)

وهى القصة التى سميت بها المجموعة التى نشرت فى عام١٩٨٧م عن سلسلة «أدب الحرب»، ترجع أهميتها إلى كونها رصدت اللحظات والأيام الأولى من بداية معركة العبور، ومن وجهة نظر المعتدى الاسرائيلى.. خلال أيام ٣، ٤، ٥، ٦، ٧ أكتوبر٧٣.. فكل شىء بارد فى سيناء، وفجأة جاء يوم الغفران، وبينما هو فى إنتظار برقية من زوجته (يائيل) لتخبره بميلاد إبنهما الأول.. المصريون يبدون له من بين فوهات حصن «بارليف» وهم يتحركون فى وداعة كعادته، كأنهم يسعون دوما لتشييد المقابر الضخمة. وكانت الأحاديث لمواجهة تلك الرتابة:

«الجنود الذين يقدرون على القتل يا مردخاى من الممكن أيضا أن يقتلوا»

«ذلك قدرنا يا يورى»

«عزيزى يورى.. انك لكى تعيش سعيدا أمنا يجب على الدوام أن تكون موهوبا قادرا»

أما فى اليوم ٤ اكتوبر، فقد نشطت وحدة المراقبة فى القطاع الاوسط المواجه لمدينة الاسماعيلية وقد أبلغت عن نشاط غير عادى على الضفة

المصرية.. اتصالات تليفونية بالقيادة.. وحدات المراقبة على طول الجبهة صارت جاحظة العيون.. نشطت المطارات.. ارتفعت الخرائط على الجدران وهمس يورى: «هل حان الوقت لتسليمى الى زوجتى وطفلى داخل صندوق»

وفى يوم ٥ أكتوبر بدأ الإستعداد للإحتفال بيوم الغفران. نص الاشارة:

«... جنود الملاحظة المصريون الذين لا هم لهم ولا شاغل الا مراقبتنا، وحساب خطواتنا وعد أنفسنا انسحبوا من مواقعهم الامامية وتركوا خلفهم ستارا من الصمت المريب»

وفى يوم ٦ أكتوبر وصلت الرسالة: (يائيل أنجبت طفلة جميلة) وفى ٦أكتوبر بدأ الاستعداد للغداء، وانتظار بطاقات العيد من الاهالى فى كافة المدن والمستعمرات.. اليوم هو السبت وحرام عليهم العمل الا بأوامر الحاخام الاكبر.. فجأة وصل تقرير جديد .. «قابلناه بأستهانة، فقد تعودنا على تلك التقارير التى لا تعرف إلا التهويل.. «إنهم يعبرون ويهبطون كالجان بصواريخ مضادة للدبابات على ضفتنا».. مزيد من القوارب تعبر.. وتعبر.. الجنود المصريون يفترشون حولنا.. انهم يرفعون علمهم على ضفتنا.

وفى يوم ١٧اكتوبر تعرض الحصن للهجوم مرة واحدة، عبر أجهزة الإتصالات وصلت الأنباء مرتعشة عن إصابة أحد ضباط القيادة. صرخ يورى: «حولنا جهنم دموى.. هل ستتركونا هكذا»

«السمان يهاجر شرقا» للروائى «السيد نجم»(تجربة الحصار والأحتفاظ بالأرض)

تبدأ الرواية: «التففنا حول الترانزيستور لسماع بيان المفتى، علت صرخة بين أرجاء الوحدة «المستشفى الجراحي تحت الأرض رقم٥».. غدا الأول من شهر رمضان، تبادلنا التهنئة، داعين الله بصدق: «ربنا لا يعوده علينا ونحن هنا»

وتنتهى الرواية: «اليوم سوف ينتهي الحصار إعتبارا من ساعة حضورهم»..إنشغل الجندي في حذائه، أخرج مسمارا منها بأسنانه ..حفر هذه الجملة :»بعد مضى ١٣٤ يوما انتهى الحصار في كبريت....الضفة الشرقية لقناة السويس».. في الأول من مارس ١٩٧٤م.»

بتلك الفقرتين تبدأ وتنتهى الرواية. تلك التي بدأت مع أيام قليلة قبل السادس من أكتوبر ١٩٧٣حتى انقضاء بضعة شهور قليلة لا أكثر.

تعبر الرواية عن «تجربة الحصار»، ذاك الذي كان وعبر عنه الجنود حول حالتهم النفسية طوال السنوات السابقة عن بداية المعارك. أو الحصار الفعلي، بعدما إنتقل جنود كتيبة المشاة وعبروا منطقة نقطة دشمة كبريت الحصينة على الضفة الشرقية للقناة. تقع الرواية في عدة فصول: «العصفور لا يغرد ولا يبكى»، «الطيور الفزعة»، «السمان يهاجر مرتين»، «الثيران تلتهم التورتة»، «الجمل يجتر ما في جوفه»، «ذكر النحل يموت في أنثاه»، «الطيور لا تأكل عشها»...

وتحت دلالة تلك العناوين، عايش القارئ تفاصيل التجربة.. الملل والضيق النفسي الذي يعانيه الجنود.. بداية رفع درجة الإستعداد مع إستدعاء الجنود الأجازات.. التأهب لإستقبال الأطباء المدنيين المكلفين للعمل بالوحدات الطبية العسكرية، ومنه المستشفى الخامس (وهى أول وحدة طبية عسكرية بعد خط القناة).. مفارقات الحياة اليومية للجنود حتى بداية المعارك على غير توقع من الجميع.. لم يشعر أفراد الوحدة الطبية بالمعارك إلا بعد إنقضاء ثلاثة أيام وحيث بدأت معارك الدبابات.. مع كل مصاب خطوة من خطوات المعارك على أرض سيناء.

أما وقد التحق «طارق» الطبيب المجند على إحدى وحدات المشاة والتي لم تعبر خلال الأيام الأولى من بداية المعارك، أصبح أحد أفرادها.. فور التحاقه صدرت الأوامر بالعبور.. تم العبور وبدأت المعركة بين الجنود المصرية وأفراد حصن كبريت الإسرائيلي.. نجح الجنود في السيطرة على

الحصن وأسر الجنود الإسرائيلي.. وبدأ الحصار أيضا، فقد أحاطت القوات الإسرائيلية بحدود الحصن والمنطقة القريبة منه، لانتهاز أقرب الفرص للانفصاد على المصريين، واسترداد الحصن. وبدأت مفارقات وبطولات الحصار.. إنه حصار قاتل، حيث دانات المدافع والغارات الجوية، والهجمات بالأسلحة الخفيفة ليلا. كما أنه الحصار الذي بلا ماء ولا طعام.. ومع ذلك نجح الجندي محمود من إبتكار جهاز تحليل مياه القناة المالحة، ونجح الضابط «أسامة» أو «الذئب» في الهجوم على أفراد نقاط المراقبة الإسرائيلي، والاستيلاء على المواد الغذائية بموقعهم، ونجح الضابط «سامح» في نقل المصابين ليلا إلى أقرب وحدة عسكرية مصرية وهي مهمة قاتلة وخطرة.

نجح الكل في الصمود وتحدى الحصار.. على الرغم من المعارك المتجددة يوميا، وعلى الرغم من استشهاد واصابة العديد من الجنود، لعل لحظات إستشهاد العقيد «إبراهيم عبد التواب» من أكثر اللحظات تأثيرا على القاري.. فقد صلى ركعتين في إحدى المواقع، وأشار إلى موقع سجوده وقال لأحد أفراد وحدته: إن استشهدت أدفن هنا».. وقد كان.. وبقي صمود الجنود بطولة حقيقية.

«أنشودة الأيام الآتية» للروائى «محمد عبدالله الهادى» (تجربة سرد ما بعد الحرب)

تقع الرواية فى أثنى عشر فصلا، لعل اللافت فى تلك الرواية أن الكاتب تناول شخصيات ودلالات الحرب بعيدا عن أحداث أرض المعركة والمعارك. فقد تذكر الراوى طفولته مع صديقه بالمدرسة الابتدائية، فلما مرت الأيام وأستشهد الصديق، تذكره فى صورة ابنه التلميذ الجديد فى المدرسة التى يعمل فيها الراوى (صديق الأب) مدرسا.. وبالفعل هو ابن صديقه الحميم.. هو الوليد الذى ولد فى يوم أستشهاد الأب (صديق الراوى).. فكان إمتداد الايام لصديقه معه.. لم ينتظر طويلا، يصاحب

التلميـذ ويرعـاه، وينتهـي الفصـل الأخـير بزيـارة «جزيـرة مطـاوع» حيـث أستشـهد الأب (الصديـق).

يلاحـظ القـارىء أن بيئـة المعـارك أو الجبهـة لم يتابعهـا الكاتـب إلا فـى الفصـل الثامـن، وهـو بعنـوان «الميـلاد» حيـث تلـد زوجـة صديقـه «النجـار» ولدهـا «فتحـى» يـوم إستشـهاده.. وهـى دلالـة فنيـة طرحهـا الكاتـب ببسـاطة وبفنيـة غـير مفتعلـة أو مقحمـة.

يبـدو الكاتـب حـرص علـى مـزج الحـرب علـى الحـدود مـع فكـرة الحـرب الداخليـة، وهـو مـا تناولـه مـن خـلال شـخصية صهـره «المعلـم أبوالفتـوح» الـذى تمثلـه مـن رجـال الأعمـال المسـتفدين ممـا كان وتم خـلال فـترة الانفتـاح الاقتصـادى بعـد معركـة العبـور فـى اكتوبـر ٧٣، حيـث رفـض الـراوى أن يتعامـل مـع صهـره، مـا يعنـى رفضـه للواقـع الإقتصـادى الجديـد. تعـد الروايـة ممـا يوصـف بروايـة الشـخصيات، فقـد توقـف الكاتـب مـع شـخصيات متعـددة، ربمـا تصـل الى ٣٢شـخصية، كل شـخصية منهـم لهـا دورهـا وصورتهـا الاجتماعيـة.. بدايـة مـن البسـطاء حتـى الكبـار أو المسـئولين والأثريـاء: المعلـم أبوالفتـوح- أحمـد أبوعيسـى- إبراهيـم النجـار- فتحـى إبراهيـم النجـار- سـناء ابوالفتـوح- فوزيـة.. وغيرهـم ممـن يشـكلون ويشـاركون فـى معـارك الجبهـة الداخليـة أثنـاء فـترة الحـرب (يونيـو٦٧ حتـى مـا بعـد أكتوبـر٧٣).. هنـا بطولـة خاصـة لا تغفـل.

«مراعـى القتـل» للروائـى «فتحـى امبابـى» (تجربـة عودة الجنـدى مـن المعركة)

كانـوا ثلاثـة أصدقـاء، جمعتهـم «قروانـة» الوحـدة العسـكرية، ومعـارك الاسـتنزاف(ما بـين عامى٦٧حتـى١٩٧٠)، ثـم معـارك أكتوبـر٧٣. ضاقـت بهـم سـبل العيـش (كمـا أغلـب شـباب مصـر في تلـك الفـترة) بعـد تسـريحهم مـن الجيـش. سـافروا إلى «ليبيـا» حيـث الأمـل في مصـدر رزق جديـد في مـكان

جديد. فكانت الرواية التى تلخص شكوى الاستلاب والتهديد بالموت حتى من أبسط حقوق الإنسان في لقمة تسد الرمق وفى صباح هادئ جديد.

..عالج الروائي فكرته من خلال التوازي والإسترجاع، فلم تكن الحياة قبل التسريح من الجيش أقل أو أكثر من الحياة بعده..في كل منهما التهديد بقنص الحياة، ربما يبدو ذلك مبررا وواضحا لمثل هؤلاء المعرضون لغدر عدو لا يبعد عن وحدتهم العسكرية سوى عرض المجرى المائي لقناة السويس. غير المبرر هو أن يبقى الإحساس نفسه، على الرغم من غور ملاجئ الأعداء إلى أغوار سيناء البعيدة (قبل التحرير الكامل لسيناء).

إستعان الروائي بحيلة فنية أضافت بعدا جماليا إلى سخونة الموضوع وأهميته. إستعان بأحد النصوص الشفهية (المعاصرة) لتغريبة بنى هلال الشهيرة. وهذا الاستحضار التراثي أضاف إلى الحالة بعدا فكريا يستثير العقل للتأمل أيضا، قال: «كنت في جلدي زي بعدى عن ملاحي/ وأوثق صدهم قلبي جراحي/ فسرت من الهوى قدرا وصاح/ ألا يا ليل .. هل لك من صباح..؟»

في البداية نلحظ تكرار الجملة: »الزمن قطر غشيم لا يرجع للوراء». وهى إسقاطه لمعنى ما يريد الروائي تبليغه للقارئ، مع التكرار نتعاطف ونسأل: هل يعنى القطار حقا أم الزمن؟؟.

أما وقد بدأت الرحلة الغامضة، فلا حيلة إلا اعتلاء الذكرى والتذكر. لم يكن «التذكر» عنا حيلة فنية مقحمة ومفتعلة، كان ضرورة فنية..أما أن يقف «عبدالله» ورفقائه لسؤال المرشد من قبيلة «أولاد على» عن طريق اختراق السلك أو الحدود الرسمية بين ليبيا ومصر، فيقول لهم بتعال وغرور غير مبرر: «كنك يا تيس يا عرس.. راع تنطق بكلمة ولا نضربك بالنار، عهد الله بنترك فيك هون للديابة»

وفى لحظات الغروب تزداد مشاعر الاغتراب، فليس في لون المياه الزرقاء البعيدة جمال، ولا في غروب الشمس وشروقها على أرض الأفق

والصحراء. ويتذكر الجميع أحداث مظاهرات الجامعة بعد النكسة حيث جندي الأمن المركزي يقاتل الطلبة بكل جدية ونشاط!. ولا يبقى أمام القارئ سوى الربط الخفي/ الظاهر بين قهر ومأساة المقاتلة على خط النار مع العدو الإسرائيلي، وعدو آخر على خط نار آخر.

ومثلما كانت مشاهد القتلى والجرحى على أرض المعارك هناك، كانت المشاهد نفسها على أرض أخرى وعدو آخر..لكنه هذه المرة ليس إسرائيليا.. وهو ما يعد تفسيرا ومبررا للعنوان الأصلي للرواية «مراعى القتل».

كتب في ص٤٧: «إستيقظوا واحدا بعد الآخر، وأمامهم كانت تسبح سبع جثث من المتسللين المصريين الذين جرفتهم سيول الأمس بينما كانوا عائدين، تسد مدخل مخر السيل».

تتواصل فصول الرواية..ما بين إعادة حوارات وأحداث ما كان بعد معركة ٦٧ وحتى ٧٣، وما هو كائن وممارس فعليا في طريقهم البرى إلى أعماق ليبيا.

وصلوا حدود طبرق، ما زال الغموض يكتنف المصير، فيأتي الليل.. الليل الحقيقي ويأتي معه الليل النفسي المليء بالخوف من صباح جديد، فيقول أحدهم: «ألا يا ليل ..هل لك من صباح؟»

وتعد الرواية من الروايات القليلة التى تناولت موضوع مصير الجندي العائد من الحرب، بالإضافة إلى كونها كتبت بقلم أحد المحاربين، كما أنها كتبت بعد فترة مناسبة من انتهاء المعارك، وهو ما تجلى في وضوح البعد الجمالي الفنى، الذي انعكس وعبر عن نفسه بتلك التقنيات الفنية المستخدمة، وبما يمكن أن نطلق عليه «النفس الهادئ» في التناول والصياغة، وهو ما أكسبها مذاقا خاصا.

«خوذه ونورس واحد» قصص ل«سمير الفيل» (تجارب ما بعد المعركة)

قسم القاص قصص المجموعة تحت عنوانين منفصلين.. الأول «تنويعات عسكرية» يتضمن القصص: «إجراءات– حبهان على مستكة – صورته – دفعة– عزومة – عريس السرية – لدغة عقرب – بلديات – جندي مؤهلات – مسعد بنزين – خلع الجذور – خوذة ونورس وحيد».. أما القسم الآخر قصص تقليدية قصيرة. سجل القاص: (قصص كتبت من سنة ١٩٧٤ إلى سنة ١٩٨٥م)

* **قصة «جلسة إجراءات»**.. تعالج تجربة رفيق الكاتب الذي شارك فى حرب أكتوبر، بينما يشكو من إصابة أثناء المعارك (يعرج) وان كان فى البداية لم يكن ممن يصلحون للخدمة العسكرية! وطالت إجراءات الرفت من الخدمة، فلما جاء يوم خروجه، احتفل به زملائه أيما احتفال.

* **قصة «عزومة»**.. بعد أيام المعارك، استمرت الجنود على حالة التدريب ومعايشة أجواء الحرب.. خلال مناورة تدريبية، تقرر استخدام الوجبات الجافة طوال أيام المناورة.. لكن الجنود نجحوا فى إقامة (عزومة) على وجبة ساخنة طازجة.. بعيدا عن عين الصول.

* **قصة «لدغة عقرب»**.. تبدأ أحداث القصة بعد أن انتهت المعارك. كان ضمن وحدته فى مهمة تدريب.. وما أن هدأ التدريب للراحة، نتبه على مشهد هيكل الدبابة الإسرائيلية المحطمة هناك. ذهب واقترب بشدة منها، زاد فضوله واعتلى الدبابة، وما أن اطل من البرج – برج الدبابة – لدغه عقرب. صرخ وصاح بأعلى صوته كي ينقذونه.. استقبل الصول الحالة والخبر باعتياد من مارس الحرب وكم من العقارب لدغت غيره.

التفوا حول زميلهم، أحدهم مص الدم الفاسد بفمه، وأحاطوا مكان اللدغة بأربطة شديدة، ثم شرب الشاي لساخن وارتاح حتى شفى.. لم

يبـق إلا التحذيـر مـن العقـرب.. فـى دبابـة الأعـداء!

* **قصـة «خلـع الجـذور»**.. قـد يفعـل الزمـان أفاعيلـه.. ومـن ضمنهـا أن ننسـى بعـض الأحـداث والأخبـار. لكـن فـى تلـك القصـة نسـى فيهـا أحدهـم أشـياء صديقـه الشـهيد.. وخـرج للبحـث عنهـا كـي يعيدهـا الى أسـرته وذويـه.. سـعى بـكل إخـلاص أن يجدهـا، ولم يجدهـا.

* **قصـة «خـوذة.. ونـورس وحيـد»**.. فـور انتهـاء المعـارك، وبـدأت دورة جديـدة للحيـاة العسـكرية.. حـدث أن عـاد الجنـدي إلى موقـع تذكـره، وتأمـل كل شـبر فيـه.. حتـى مـكان مـا قـبر فيـه أحـد الشـهداء رفقاء المعـارك.. لم يجـد مـا يعلـق بـه، انشـغل أكثـر بذلـك النـورس الوحيـد (بينمـا طائـر النـورس دائمـا فـى أسـراب)!

بمطالعـة قـص الحـروب يمكـن التأكيـد عـلى عـدد مـن الحقائـق:

: إن التجربـة الحربيـة لهـا تأثيرهـا الفاعـل والدائـم علـى جنـس السـرد النثـرى في مصـر.

: لا إنفصال ل «التجربة الحربية» سواء كانت في مصر أو فى البلدان العربية.

: لم تكـن زاويـة الرصـد للكاتـب مكتفيـة بالجانـب المباشـر، بـل مـا تتسـم بالفنيـة والتقنيـة العاليـة.

: بـروز تقنيـة جديـدة لم تسـتخدم مـن قبـل في الروايـة العربيـة.. وهـى التوثيـق والتسـجيل.

ولا يبقـى إلا التأكيـد علـى أن التجربـة الحربيـة إرتبطـت بالحيـاة علـى الأرض المصريـة، بالـذل والعطـاء مـن أبنائهـا، وتحـت رايتهـا سـواء مـن مجنديـن أو حتـى المدنيـين لخدمتهـم.

★★★

* المصادر والمراجع (الترتيب حسب سنة النشر)

- الحرب في القصة العراقية – عمر محمد الطالب –دار الحرية للطباعة –بغداد ١٩٨٣م
- الخيال.. مفهوماته ووظائفه – عاطف جودة نصر –هيئة الكتاب المصرية ١٩٨٤ م
- فقه السنة – السيد سابق – دار الريان للتراث ١٩٨٧م
- تكنولوجيا السلوك الإنساني– ب.ف.سكينر–ترجمة:وجيه سمعان– سلسلة١٠٠٠ كتاب– هيئة الكتاب عام ١٩٨٨م.
- الإنسان بين الجوهر والمظهر–اريك فروم–ت:سعد زهران «عالم المعرفة–الكويت» ١٩٩٤
- الاتجاه القومي في الرواية – مصطفى عبد الغنى–عالم المعرفة ١٩٩٤م
- الحرب: الفكرة–التجربة–الإبداع – السيد نجم – هيئة الكتاب ١٩٩٥ م
- سيكولوجية التطرف والإرهاب–عزت سيد إسماعيل– حوليات آداب الكويت ١٩٩٨م
- الكتابة والحرية –د.فوزي فهمي– هيئة الكتاب ١٩٩٩م.
- عن الحرية –جون ستيوارت مل– ترجمة»عبد الكريم أحمد»– هيئة الكتاب ٢٠٠٠م.
- الإبداع والحرية –رمضان بسطويسى –هيئة قصور الثقافة ٢٠٠٢م
- المقاومة والحرب فى الرواية العربية– السيد نجم– دار التعاون (جريدة الجمهورية)–عام٢٠٠٦م
- أدب المقاومة.. قضايا ومفاهيم– السيد نجم– دار الهلال ٢٠١٣م

obeikandi.com

الدوريات

١. مجلة الفكر – عدد خاص – تونس – العدد٣ ديسمبر ١٩٧٧م

٢. مجلة عالم الفكر– الكويت – العدد٤ (المجلد العاشر) ١٩٨٠م

٣. مجلة الثقافة الأجنبية – عددان خاصان – العراق ١٩٨٥م

٤. مجلة عالم الفكر – الكويت – المجلد الرابع والعشرون – يناير١٩٩٦م

obeikandl.com